الباب الثاني

في السلاح

الإعداد والإستعداد:

لقد جعل الله لكل زمان أدواته وأسلحته، ولأمر ما ولحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، استمر الصراع بين الحق والباطل، ولكل أنصاره ،وذووه، يدافعون، فمنهم من يدافع لإحقاق الحق،وأن تسود عدالة السماء بين بني الإنسان، لذلك أرشدنا الله رحمة بنا، إلى الإعداد والإستعداد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠] وقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: ٤٠].

عمر يسأل عن أفضل السلاح:

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أنه سأل عمرو بن معد يكرب، يوماً فقال له: يا عمرو أي السلاح أفضل في الحرب؟. قال عمرو: فعن أيها تسأل يا أمير المؤمنين؟، قال: ما تقول في السهام؟ قال عمرو: منها ما يخطىء ومنها ما يصيب.

قال: فما تقول في الرمح؟ قال عمرو: أخوك وربما خانك، قال: فما تقول في الترس؟، قال عمرو: هو الدائرة ، وعليه تدور الدوائر، قال: فما تقول في السيف؟ قال: ذلك العدة عند الشدة.

وقيل: إن عمراً نزل يوم القادسية على النهر، فقال لأصحابه: إنني عابر على هذا الجسر، فإن أسرعتم مقدار جزر جزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي، وقد عرفني القوم، وأنا قائم بينهم، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم، ثم انغمس فحمل على القوم.

فقال بعضهم لبعض: يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم؟ والله ما نظن أنكم تدركونه حيًّا، فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه، وقد أخذ برجل فرس رجل من الفرس، فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم يقدر أن يتحرك، فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه، وخلى فرسه فركبه عمرو وقال: أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني، فقالوا: أين فرسك؟ فقال رمي بنشابة فغار، وشب فصرعني.

ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم، وهو الذي قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية، على قتال المسلمين، فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل، فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم، وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزم الفرس.

تلك هي شجاعة عمرو بن معد يكرب، وإقدامه وهو في حالة الكبر ، فكيف كان إقدامه وشجاعته لما كان شاباً، يتمتع بالفتوة، فقد كان يضرب به المثل في الإقدام حيث قال أبو تمام الطائي:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

أشهر سيوف العرب:

ومن أشهر سيوف العرب: صمصامة عمرو بن معد يكرب، والصمصامة السيف القاطع ، الحاد الذي لا ينثني، وممن تمثل بصمصامة عمرو بن معد يكرب نهشل بن حري بن صخرة بن جابر الدارمي التميمي، الشاعر المخضرم، أدرك الإسلام فأسلم ولم ير الرسول ﷺ، وكان سيداً في قومه، توفي عام ٤٥هجرية:

أخ ماجد ما خانني يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

وقد وهب عمرو سيفه لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن فقال:

خليلي لم أخنه ولم يخني إذا ما صاب أوساط العظام
خليلي لم أهبه من قلاه ولكنّ المواهب للكرام
حبوت به كريماً من قريش فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفي صفي نفسي على الصمصام أضعاف السلام

فلم يزل في آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال كثير لهشام ابن عبد الملك بن مروان، وكان قد كتب إليه فيه، فلم يزل عند بني مروان، ثم طلبه أبو العباس السفاح ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أول الخلفاء العباسيين، كما طلبه أبو جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، فلم يجداه .

عروة بن الزبير يطلب سيف أخيه عبد الله:

وقَدِمَ عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن الزبير، فطلب منه سيف الزبير، وقال له: رده عليَّ فإنه السيف الذين أعطاه رسول الله ﷺ له يو م حنين، فقال له عبد الملك: أتعرفه؟. قال: نعم، قال: بما ذا تعرفه؟. قال: أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك، أعرفه بقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وهذا يدل على الشجاعة والإقدام، وخوض المعارك الجسام وشق الزحام، وحسبه شرفاً أنه حواري رسول الله ﷺ.

وقال الشاعر:

بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا مطلاً كإطلال السحاب إذا اكفهر
فقلت له: لا تبك عينك إنما يكون غداً حسن الثناء لمن صبر
فما أخر الإحجام يوماً معجلاً ولا عجل الإقدام ما أخَّر القدر
فآسي على حال يقلّ بها الأسى وقاتل حتى استبهم الورد والصدر
وكرّ حفاظاً خشية العار بعدما رأى الموت معروضاً على منهج المكر

الهادي يطلب الصمصامة:

فجدَّ في طلبه والبحث عنه موسى الهادي أحد خلفاء بني العباس فظفر به، فجرده ودعا بمكتل من الدنانير، وأمر الشعراء أن يصفوه، ففعلوا فما استطاع أن يصفه إلا الشاعر عامر بن عبد الرحمن المعروف بأبي الهول الحميري حيث يقول:

حاز صمصامة الزبيدي من بين جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما أطبقت عليه الجفون

فقال موسى الهادي: السيف لك، والمكتل لك، فأخذهما وفرق الدنانير على الشعراء الحاضرين وقال: دخلتم معي، وأخرجتم من أجلي، ولي في السيف

عوض وهو القائل فيه:

حسام غـــداة الروع مـاض كـأنه من الله في قبض النفوس رسـول

وكان مكتوباً على الصمصامة:

ذكـــر على ذكـــر يصـــول بصـارم ذكـــر يمـــاني في يمـــــين يمـاني

وكان اسم سيف رسول الله ﷺ: ذو الفقار سمي ذو الفقار لأنه كانت فيه حفر صغار حسان، ويقال للحفرة فقرة، ثم صار إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفيه قيل: (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) وكان أولاد الإمام علي يتوارثونه حتى وقع إلى بني العباس.

قال الأصمعي: رأيت هارون متقلداً سيفاً، فقال: يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار؟ أسلل سيفي هذا فسللته، فرأيت فيه ثماني عشرة فقرة.

قال المبرد في كتاب الاشتقاق: كانت فيه حزور مطمئنة شبهت بفقار الظهر، وهو سيف منبه بن الحجاج بن عامر القرشي من بني سهم، كان هو وأخوه نبيه من أشراف قريش، وذوي الرأي والكلمة، قتل يوم بدر، قتله الإمام علي بن أبي طالب كافراً، وقتل أخاه عم النبي حمزة بن عبد المطلب.

وروي أن الرسول ﷺ قال: «**لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله السلامة والعافية، فإذا لقيتمو هم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**».

ويروى عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،أنه قال : بقية السيف أنمى عدداً، وأكثر ولداً، دليل ذلك في ولد الإمام علي، وولد المهلب بن أبي صفرة: فقد قتل مع الحسين بن علي عامة أهل بيته ، ولم ينج إلا ابنه علي لصغره ،فأخرج الله من صلبه الكثير من الأولاد.

وقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وإخوته وذراريهم، ثم مكث من بقي منهم نيفاً وعشرين عاماً لا يولد فيهم أنثى، ولا يموت منهم ذكر.

سيف أبي حية النميري:

ومما يحكى أنه كان لأبي حية النميري سيف ليس بينه وبين العصا فرق، وكان يسميه لعاب المنية ، فحكى جار له قال: أشرفت عليه ذات ليلة وقد أنضاه أي

سلّه، وفي بيته كلب ظنه لصاً، وهو يقول: أيها المغترُّ بنا، والمجترىء علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وشر طويل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، ألا تخاف اخرج بالعفو عنك، وألا دخلت بالعقوبة عليك، إني والله إن أدع قيساً تملأ الفضاء خيلاً ورجالاً، يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها؟ ثم فتح الباب، فإذا كلب يخرج من الباب فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حرباً.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان:

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٠]، وبعد مقتل الفارس المقدام ربيعة بن مكدم بفترة كيما يستعد القوم ، للأخذ بالثأر،أغار قومه على بني جشم،قوم الفارس المغوار دريد ابن الصمة، فقتلوا وأسروا وغنموا، ومن الأسارى كان دريد بن الصمة فارس القوم وسيدهم.

فأخفى دريد نسبه، فحبسوه عندهم، فمرت به نسوة من بني مالك بن كنانة قوم ربيعة بن مكدم، وكانت الظعينة التي حماها ربيعة، فرأت الرجل فارس جشم وسيدهم، وتذكرت موقفه من ربيعة حين أعطاه رمحه، فقال له: خذ رمحي فمثلك لا ينبغي أن يقتل وسأرد القوم عنك.

فلما رأته الظعينة صرخت فقالت: هلكتم وأهلكتم، ماذا جرّ علينا قومنا؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة بن مكدم رمحه يوم الظعينة،ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: يا آل فراس أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي، فسألوه من هو؟. فقال: أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي؟. قالوا :ربيعة بن مكدم قال: فما فعل؟. قالوا: قتله بنو سليم، قال : فمن الظعينة التي كانت معه؟. قالت المرأة: ريطة بنت جذل الطعان، وأنا هي امرأته، فتشاور القوم في أمر دريد بن الصمة، وأجمع رأيهم على فكّ أسره وإكرامه ،فالخير بالخير والبادي أكرم، كما أن الشر بالشر والبادي أظلم، وقالوا: لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا، وقال بعضهم: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضاء المخارق الذي أسره وانبعثت

المرأة في الليل فقالت:

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمة وكل فتى يجزى بما كان قدما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمح السديد المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه وأهل بأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حياً لم يطق بثوابه ذراعاً غنيًّا كان أو كان معدما
ففكوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشر سلما

فأصبح القوم، فتعاونوا بينهم، فأطلقوه وكسته الظعينة ريطة بنت جذل الطعان وجهزته أحسن تجهيز، فلحق بقومه، وكف عن غزوهم حتى هلك، وقال الشاعر في المعنى:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطال ما استعبد الإنسان إحسان

وقال عبد الله بن جذل الطعان أبو ريطة، واسمه بلقاء يرثي ربيعة بن مكدم:

خلي عليّ ربيعة بن مكدم حزناً يكاد له الفؤاد يوؤل
فإذا ذكرت ربيعة بن مكدم ظلت لذكراه الدموع تسيل
نعم الفتى حياً وفارس بهمة يردي بشكته أقب ذؤول
سقت الغوادي بالكديدرمة والناس إما هالك وقتيل
فإذا لقيت ربيعة بن مكدم فعلى ربيعة من يداه قبول
كيف العزاء ولا تزال خريدة تبكي ربيعة غادة عطبول؟!
يأبى لي الله المذلة إنما يعطى المذلة عاجز تنبيل